



الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

القذافي محمد أحمد القايدي

Alqaydie@su.edu.ly

ملخص للبحث

ارتبط مصطلح الاستشراق في الثقافة الشرقية عموماً والعربية بشكل خاص بالمستعمر الأوربي وأطماعه في المنطقة ، فأصبح المصطلح عند ذكره يستدعي بالضرورة كل ما يرتبط بالاستعمار من ظلم وقهر واغتصاب للحقوق .

هذا الربط الذي حصل بين الاستشراق وبين الاستعمار الأوربي الحديث لم يأت عبثاً ، إنما كان عن تجربة مريرة عانى منها الشرق والشرقيون ، عرباً ومسلمين على حد سواء ، وذلك عندما يتذكرون الماضي الاستعماري وخصوصاً لدول بعينها .

ولكن هل المدارس الاستشراقية الأوربية التي لم تكن على تماس مباشر مع الشرق ، عبر الغزو كالمدرسة الألمانية كان منطلقها سلكت نفس السلوك ؟

هذا هو بالضبط ما تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عنه ، وذلك من خلال تسليط الضوء على مدرسة استشراقية تبدو بعيدة بعض الشيء عن بلاد العرب والمسلمين ، سواء من حيث الجغرافيا ، أو من حيث أن المنطلقات التي تبدو غير متأثرة بالسياسة والأعيابها .

في هذه الورقة تم استعراض بدايات الاستشراق الألماني ، وأهم المستشرقين الذين أثرت أعمالهم فيمن جاء بعدهم من دارسي الشرقيات ، مثل بروكلمان KBrockelmann ، وهونكه Hunke ، وأهم أعمالهم التي انتشرت وترجمت للغات أخرى ، ككتاب تاريخ الأدب العربي ، وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب .

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، مساهمة المستشرقين عموماً والألمان منهم بشكل خاص ، في تحقيق عدد كبير جداً من المخطوطات والكتب العربية القديمة التي ساهمت في لفت أنظار المثقفين والأكاديميين العرب فيما بعد ، للالتفات لتحقيق هذا التراث الذي ضاع منه الكثير ، سواء بالرمي في المياه ، كما حدث بعد اجتياح المغول لمدينة بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، أو بالحرق كما حصل بعد طرد المسلمين من الأندلس ، أو بالسرقة التي بسببها وجد الكثير منها في متاحف أوروبا اليوم .

من نتائج البحث كذلك أنه يحسب للاستشراق الأوربي أيضاً ظهور عدد من الموسوعات التي تعنى بالدرس الاستشراقي ، هذه الموسوعات وإن كانت تجانب الحقيقة في المواضيع التي تطرحها في أحيان كثيرة ، إلا أنها عملت على إجراء دراسات وبحوث هامة ساهمت في تسليط الضوء على كثير من القضايا العلمية التي كان لعلماء العرب والمسلمين دور في تطورها ، وإزالة الصورة النمطية المترسخة في عقول بعض الغربيين عن أولئك العلماء في أن دورهم ينحصر في نقل علوم الإغريق لأوروبا ، دون إحداث أي تغيير أو تطوير على هذه العلوم .

الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

مقدمة

شرق : " شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً : طلعت واسم الموضع المشرق " (ابن منظور 2244، 1980) .

الاستشراق كلمة " مشتقة الشرق أي مشرق الشمس والسين هنا للطلب أي طلب الشرق " مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 162، 1990 ، هذا أحد التعاريف التي حاولت معالجة هذه الظاهرة ، وإن كانت تعريفاتها كثيرة ومتعددة ، منها أنه " الاهتمام أو الدراسة أو التوجه أو البحث الذي يقوم به الإنسان الغربي تجاه العالم الشرق " مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 162 أو هو " الدراسات والاتجاهات والبحوث التي قام بها المستشرقون في الغرب حول ما يتعلق بالتراث الإسلامي " (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 162).

يحدد إدوارد سعيد المعنى الأكاديمي الحديث لكلمة المستشرق بأنه " كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه (سعيد ، 1980 ، 46) ، وإن كان يرى أن هذا المفهوم قد أصبح " غائماً وعماماً إلى درجة مفرطة (سعيد ، 46) ، وذلك لأنه أصبح يمثل " الموقف التنفيذي السلطوي للاستعمار الأوربي في العصر الحديث (سعيد ، 46) .

لمحة تاريخية عن نشأة الاستشراق

من خلال تتبع أصول ظاهرة الاستشراق يظهر جلياً أن " فكرة التبشير هي التي حفزت الكنيسة على التعامل مع القرآن الكريم واللغة العربية " مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 192، 1987 ، ومن هنا فقد عملت الكنيسة على وضع أول ترجمة للقرآن حيث " ظهرت أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم في عام 1143 م وكان صاحبها بطرس فينيرابيلس (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 192).

كان من دوافع الكنيسة لترجمة القرآن محاولة فهم الإسلام ، وفهم عقلية المسلمين وطرق تفكيرهم ، خصوصاً بعد أن اتضح عدم جدوى الحروب الصليبية ، التي فشلت جميعها في نشر الدين المسيحي بين أبناء الشرق ، وفي دفعهم للتخلي عن الإسلام ، بل بالعكس حصل ما هو غير متوقع حيث أن " ثقافة المسلمين وعاداتهم وطرق معاشهم كانت تفرض نفسها على المحاربين الصليبيين (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 192) ، وهذا الأمر حدث في فترة سابقة من التاريخ حيث طغت الثقافة الإغريقية وطبعت بطابعها الثقافة الرومانية رغم أن الرومان هم من انتصر عسكرياً واستطاعوا احتلال اليونان .

على الصعيد الرسمي يؤرخ للاستشراق " الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامنكا (سعيد ، 80) .

إذن فالكنيسة التي كانت تصور المسلمين والعرب على أنهم " يؤلفون تهديداً للعالم المسيحي الغربي ، وتصورت أوروبا في مطلع العصور الوسطى أن هناك شعباً هائجاً أسموه العرب أو السراسنة (ساكنوا الخيام) وهم ليسوا مسيحيين ، كان وصولهم إلى إيطاليا وأسبانيا كارثة " المسلاقي ، 1987 ، 31 ، كان عملها الرئيس إقناع أتباعها بهذا الصورة المغايرة للواقع تماماً للعرب والمسلمين ، وبالتالي انعكست هذه الصورة على آلية عمل المستشرقين الذي أصبح " لا يبحث عن حقيقة مجردة ، ولكنه يبحث عن مبرر لشيء آمن به من قبل " (المسلاقي ، 61).

هذه الآراء والتصورات المسبقة يمكن ملاحظتها في كثير من مؤلفات المستشرقين الكبار كالمستشرق الإنجليزي مرجليوث David Samuel Margoliouth أو المستشرق المجري غولد تسيهر Ignac Goldziher وعند كثيرين غيرهم .

نخلص مما تقدم إلى أن الاستشراق بدأ مع الكنيسة ولأسباب دينية بحته خلال العصور الوسطى ، ولكنه سرعان ما انتقل خلال عصر النهضة ليكون واجهة للاستعمار والسيطرة على الشرق ، ومن أوائل صورة هذا الاتجاه ما فعله نابليون بونابرت في حملته على مصر عام 1798 م ، حيث اصطحب معه فريقاً من المستشرقين محاولاً من خلالها إقناع المصريين بأنه المنقذ للبلاد من طغيان المماليك ، الذين كانت علاقتهم سيئة في الأساس معهم .

تغير واختلاف الغايات التي تقف وراء الاستشراق من التبشير بالديانة المسيحية في الشرق ، واستكناه هذا الشرق ، كونه يمثل العدو الأول للمسيحية وللأوروبيين حسب وجهة نظرهم ، إلى محاولة التمهيد للاستعمار الأوربي الحديث لمختلف دول العالم العربي والإسلامي ، أدى هذا التغير في الغايات إلى تغير في المؤسسات التي تقف ورائه ، من الكنيسة ورجال اللاهوت إلى الجامعات والمراكز البحثية والأكاديمية التي ترتبط بوزارات المستعمرات .

من أمثلة عمل هذه المؤسسات الأكاديمية والتعليمية في التمهيد للاستعمار الأوربي الحديث الدور الذي لعبته المؤسسات التعليمية الإيطالية في ليبيا قبل بدء العمل العسكري في 1911م ، حيث كان يوجد " بالمدارس الإيطالية عدد 541 تلميذاً منهم 230 تلميذاً و 311 تلميذة ، بينما كان في المدرسة الفنية 46 طالباً (المسلاقي ، 144).

أصول الاستشراق الألماني

المدرسة الألمانية في الاستشراق " تعتبر من أكثر المدارس اهتماماً بالتراث الإسلامي وأغزرها إنتاجاً " مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 183 ، مع أنها ليست أقدم مدارس الاستشراق الأوربية ، فقد سبقتها مدارس أخرى كالإنجليزية والفرنسية .

لعل أول ما يلاحظ على هذه المدرسة المتميزة هو كثرة عدد المستشرقين ، وكذلك عدد المخطوطات العربية الموجودة بمختلف المكتبات بالجامعات والأكاديميات ومراكز البحوث المختصة بدراسة الشريقات ، سواء منها التي تم تحقيقها بالفعل أو التي لم يتم تحقيقها .

إذن فالألمان ليسوا الأقدم في تناولهم للتراث العربي والإسلامي ، ولكنهم استفادوا كثيراً من باقي المدارس الأوربية التي سبقتهم في المجال ، وذلك " كما فعل إليشمان Johann Elichmann " الذي أقام في هولندا بوصف

الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

طبيباً " فوك ، 2000 ، 65 ، وكذلك فعل يوهان هانيرش Johann Heinrich Schulze الذي " ارتحل هو الآخر إلى مدينة لادن ببولندا بمهدف التلمذ على يد جولوس في العربية (فوك ، 94) .

هؤلاء المستشرقين الألمان الأوائل تلمذ على أيديهم عدد من المهتمين بالدراسات الشرقية ، والذين قاموا فيما بعد بتكوين أكاديميات وأقسام خاصة بالاستشراق ، حيث " تم إنشاء أكثر من تسعة عشر قسماً للاستشراق في الجامعات الألمانية" (الشربوي ، 2004 ، 26) .

أهم المستشرقين الألمان

يوهان ياكوب رايسكه (1716 . 1774)

Johann Jakob Reiske

يعتبر رايسكه " أول مستعرب شهير أنجبته ألمانيا (فوك ، 110) ، وقد بدأ اهتمامه بالدراسات الشرقية وباللغة العربية وآدابها تحديداً مبكراً .

لم يتناول رايسكه الشعر العربي خلال فترة زمنية محددة أو منطقة جغرافية معينة ، بل نجده ينق أشعار " جرير ولامية العرب الكبرى للشنفرى وديوان طهمان ، وفي السنة التي تلت حماسة البحترى ، لكنه اهتم بشكل خاص بقصائد العرب الشهيرة في العصر الجاهلي (فوك ، 112) .

تسم عمله بما عرف عن الشخصية الألمانية بالجدية والانضباط ، كما تميز عن غيره بالحيادية وبالابتعاد عن التحيز ، وعن التصورات المسبقة التي طبعت أعمال مستشرقين آخرين .

ما يجسب له أيضاً أنه كان منطقياً وعقلانياً في كثير من أبحاثه وكتبه وآرائه ، من ذلك مثلاً أنه كان " يعتبر ظهور الرسول وانتصار دينه في عداد الأحداث التاريخية التي يعجز العقل البشري عن سبر غورها (فوك ، 117) .

لكنه يقع كذلك في بعض المفوات والأخطاء التي لا يكاد يخلو منها عمل أي مستشرق ، منها تعليقه على بعض الأحداث التاريخية التي حدثت في الدولة الإسلامية الناشئة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتي يمكن ملاحظة التأثير الشيعي فيها كتناوله للكيفية التي تولى بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة .

من الأمور التي ظهرت فيها شخصية رايسكه العلمية والرصينة إيمانه بأن اللغات السامية جميعاً والتي تشمل العربية والأمهرية والعبرية التيغرينية تقف على درجة واحدة من حيث القيمة والأهمية ، فلا يجوز بحسب رأيه تفضيل إحداها على الأخريات ، كون جميع هذه اللغات تنحدر من أصل واحد .

هذا الرأي كان جديداً خلال تلك الفترة ، حيث كانت اللغة العبرية هي اللغة المقدمة على غيرها باعتبارها اللغة التي كتبت بها التوراة ، بينما تقف باقي اللغات على درجة أقل في الأهمية ، لأنها قد تساعد على فهم بعض النصوص التوراتية ، وخصوصاً منها ما يتعلق ببعض أسماء الأماكن أو الأشخاص الذين ذكروا في التوراة .

طريقة الرجل في التفكير والتأليف وما وصل إليه من نتائج لم ترق للكثيرين ، وبخاصة من بعض المستشرقين الذين لم تعجبهم هذه الآراء ، وكذلك من بعض رجال اللاهوت الذين لم يكونوا يعتقدوا برسالة الإسلام ، فأصبح مطراداً منبوذاً من كل الجامعات والأكاديميات التي تحتم بالدراسات الشرقية ، ولم يرد إليه اعتباره إلا بعد وفاته .

تراث المستشرق رايسكه في الشرقيات كثير ومتعدد ، ولكن يمكن اعتبار تراثه الأكبر هو أنه أسس لمدرسة في الاستشراق تقوم على البحث العلمي بعيداً عن التأثيرات الأخرى ، سواء كانت استعمارية إمبريالية ، أو لاهوتية كنسية ، وهذه المدرسة أو هذا الاتجاه سار عليه من بعده مستشرقون كثر لعل أشهرهم الألماني فلايشر Heinrich Leberecht Fleischer والذي لاينكر " دوره في تنظيم المستشرقين الألمان في أول جمعية لهم عام 1845 م (عباس ، 2010 ، 21) .

جوزف بورجشتال 1774 م . 1856 م

Joseph Von Hammer Purgstall

يمكن القول أن الاستشراق الألماني دخل مرحلة ركود بعد وفاة رايسكه ، فلم يظهر على الساحة مستشرقون بقدرته وتمكنه يتولون درس الشرقيات ويقومون به ، إلى أن ظهر هذا النمساوي الذي كان يكتب باللغة الألمانية (اللغة الأم في النمسا) ، فأغنى وأثرى الاستشراق الألماني ، وأعاد له الزخم والرصانة والمهنية العالية التي كان عليها .

كان بورجشتال " يتقن اللغات الإسلامية العربية والتركية والفارسية إتقاناً تاماً " بدوي ، 1993 ، 613 ، الأمر الذي هياً له ومكنه من الإطلاع على التراث الإسلامي بلغاته الأصلية ، وبدون لغة وسيطة ما جعله يتوسع في الدرس والتأليف حتى أن " مؤلفاته قد زادت عن مائة مجلد (بدوي ، 614) .

لم يكتف الرجل بالدراسة في الأكاديميات الغربية ، بل قام بالكثير من الزيارات للشرق ، وهذا ما زاد من معرفته باللغات الإسلامية ، كما وضع بين يديه ثروة كبيرة من المخطوطات التي لم تصل إليها أيدي المستشرقين قبله .

مؤلفات بورجشتال الكثيرة والتي وصلت إلى مائة مجلد وفق تقديرات عبدالرحمن بدوي في كتابه القيم موسوعة المستشرقين ، تنوعت ما بين بحوث وكتب ومقالات نشر أغلبها في مجلة تعنى بالدراسات الشرقية أصدرها في فيينا عاصمة النمسا ، وأسماها كنوز الشرق .

أهم مؤلفاته والتي كان لها الأثر الكبير فيمن جاء بعده من المهتمين بالدراسات الشرقية هي (1) :

- . معرض صور الحكام المسلمين .
- . تاريخ الجحفل الذهبي (المغول) .
- . تاريخ الأدب العربي (وهو في ستة أجزاء) .
- . تحقيق أطواق الذهب للزمخشري .
- . مختارات من شعر المتنبي .

ثيودور نييلدكه 1936 م . 1931 م

الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

Theodor Noldeke

يمكن القول أن حركة الاستشراق الألماني شهدت أكبر تطور لها مع ظهور ثيودور نيلدكه ، الذي يوصف بأنه " شيخ المستشرقين الألمان (بدوي، 595)، الذي كان يتمتع " باللمعة وفكر ثاقب وذاكرة قوية سريعة الحفظ ، سمحت له بشق طريقه بسرعة في كل ميدان (بدوي 225).

ثقافته الواسعة في شتى ميادين الأدب جعلته متعدد التخصصات ، فهو مستشرق كبير ، وباحث متمكن ، وناقد صاحب رؤيا ، ساعده على كل ذلك اتقانه للغات العربية والعبرية والسريانية ، ما أتاح له الإطلاع على مختلف النصوص بلغاتها الأصلية .

هو من المستشرقين الذين توجهوا مبكراً لدراسة الآثار الشرقية ، سواء كانت دينية أو أدبية ، فقد كانت دراسته في مرحلة الدكتوراه عن تاريخ القرآن الكريم وهو مازال في العشرينات من العمر ، هذه الدراسة أصدرها فيما بعد في كتاب أصبح فيما بعد " لا غنى عنه لكل النقاد والباحثين (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 200).

بعد البدايات التي خصصها الرجل للقرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه ، تحول إلى دراسة الأدب العربي ، حيث يعتبر من أوائل المستشرقين الذين بحثوا في مصادر الشعر الجاهلي ، وهو موضوع أثار الكثير من النقاش فيما بعد ، وبخاصة بعد آراء المستشرق الإنجليزي مرجليوث David Samuel Margoliouth وتلميذه طه حسين .

ما يلاحظ على نيلدكه أنه لم يقيم زيارات للبلاد الإسلامية ، بل اكتفى بالتنقل بين المدن الأوروبية ، بخاصة منها ما اشتهر بأنها من مدارس الاستشراق مثل فرنسا وهولندا وإيطاليا ، وكأنه يؤكد مقولة إدوارد سعيد عن أن الاستشراق الألماني " قام على رحلة فوق الراين وساعات أمضيت في مكتبات باريس " (سعيد ، 98).

يمكن تفسير ذلك بأن الدافع الرئيس لدراسة الآداب والأديان الشرقية من قبل المستشرقين الألمان ، كان طلب العلم والفضول المعرفي أكثر من الدوافع الأخرى التي كانت وراء الاستشراق الأوربي .

كارل بروكلمان 1868م . 1956م**Carl Brockelmann**

بعد نيلدكه ظهر أشهر المستشرقين الألمان على الإطلاق وهو كارل بروكلمان ، صاحب " المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها (بدوي، 98) .

كان منذ صباه مهتماً بدراسة التراث الأدبي والديني المشرقي كمعلمه وسلفه نيلدكه ، حيث يصف ولعه باللغات الشرقية وهو مازال في المدرسة الثانوية فيقول " كانت أشد أمانى اللغة العربية في تلك المدرسة الثانوية ، ويقول إنه اتقن العبرية إلى درجة أنه استطاع أن يترجم ، في امتحان البكالوريا ، نصاً عبرياً من سفر عموص غير مشكول ترجمة تلقائية شفوية، كذلك بدأ يدرس اللغة الآرامية الكتابية واللغة السريانية وهو لا يزال طالباً في الثانوي " (بدوي، 98)،

كان ثمرة هذا الجهد الكبير إنه كان " يتقن إحدى عشرة لغة شرقية " بدوي ، 105 ، بعضها لغات حية كالعربية والعبرية وبعضها لغات مندثرة ومنقرضة كالأشورية والبابلية .

هذا الاهتمام المبكر بالشرقيات دفعه للتلمذ على أيدي كثير من المستشرقين البارزين في الجامعات الألمانية ، مكوناً بذلك ذخيرة لا يستهان بها من العلوم المتعلقة بالتراث العربي والإسلامي ، مستعيناً مع ذلك زيارات كثيرة قام بها للشرق عموماً ولتركيا بشكل خاص ، والتي حوت جامعاتها آنذاك عدداً لا يحصى من المخطوطات النادرة ، التي جمعها الأتراك من مختلف البلاد الإسلامية باعتبارهم دولة الخلافة العثمانية .

كان من ضمن المخطوطات التي عمل عليها بروكلمان كتاب (عيون الأخبار) لأبي محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري (828 م . 889 م) ، وهو كتاب ذائع الصيت ، ولكن دار النشر التي قبلت طباعة الكتاب اشترطت على بروكلمان تقديم كتاب آخر ، لاعتقادهم بعدم رواجه ، فقام بوضع كتاب (تاريخ الأدب العربي) وهو من أشهر كتب المستشرقين على الإطلاق .

كتاب تاريخ الأدب العربي الذي ظهرت الطبعة الأولى منه مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، تعرض بالتفصيل لكثير من القضايا المتعلقة بالأدب العربي شعراً ونثراً ، ولم يتوقف بروكلمان على محتويات أول إصدار للكتاب بل " استمر في هذا التصحيح والاستدراك والإكمال طوال أربعين سنة " (بدوي ، 104).

هذا الكتاب والذي تناول مختلف عصور الأدب العربي من عصر ما قبل الإسلام ، إلى العصور الإسلامية المختلفة من صدر الإسلام إلى العصر الأموي إلى العصر العباسي وصولاً إلى الأدب العربي الحديث الذي بدأ بحسب الكتاب مع احتلال إنجلترا لمصر سنة 1882 م .

كتاب آخر لبروكلمان لا يقل أهمية عن كتاب تاريخ الأدب العربي هو كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) وقد ظهر في سنة 1939 م ، وهذا الكتاب يعطي صورة شاملة لتاريخ الشعوب الإسلامية كلها منذ بداية الإسلام حتى سنة 1939 م . " (بدوي ، 104) .

استبعد بروكلمان في كتابه هذا المراجع العربية والإسلامية كلها ، واعتمد بدلا عن ذلك بمراجع غربية ، فاعتمد على " يوليوس فلونز وليوني كيتاني فيما يتعلق بتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، وعلى بارتولد ومينورسكي فيما يتصل بتاريخ آسيا الوسطى وعلى p witek فيما يتعلق بالدولة العثمانية " (أبوخليل ، 1987 ، 20).

عدم اعتماد بروكلمان على كتب التاريخ العربية والإسلامية ، أوقعه في أخطاء كثيرة وكبيرة ، سواء فيما يتعلق بتاريخ صدر الإسلام أو العصور التاريخية التي تلت ، أخطاء أثرت كثيراً على مصداقيته كمؤرخ .

مؤلفات كارل بروكلمان كثيرة ومتعددة حيث " صنف أوتو شبيس Otto Spies سنة 1938 م ثبناً بمؤلفاته ، وكان هذا الثبنت الأساس في ثبت أو في بمؤلفات بروكلمان يشمل على خمس مائة وخمسين رقماً بين تأليف كتاب أو تحقيق أو مقالة أو بحث أو سيرة "

يوسف شاخت 1920 م . 1969 م

الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

Joseph Schacht

يعتبر " من أهم المستشرقين في العصر الحديث ، نظراً لغزارة الأعمال التي أنجزها وقيمتها وتأثيرها الكبير في أعمال الباحثين في مجالات الفقه الإسلامي وأصوله بشكل خاص " ذويب ، 2017 ، 3 .

شاخت ينحدر من أسرة بولندية يهودية ، ولكن كل نتاجه الاستشراقي كان باللغة الألمانية، واللغة الألمانية مازالت إحدى اللغات المنتشرة في بولندا إلى وقتنا الحالي .

بدأ بدراسة اللغات الشرقية مبكراً وبخاصة اللغات القديمة ، فأجاد عدداً منها كالعربية والعبرية وغيرها ، كما قام بزيارات كثيرة للشرق زادت من معرفته باللغات الشرقية وأساليبها ، فيوسف شاخت " بين عامي 1926 م . 1933 م كان قد تجول كثيراً في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا " (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 1994 ، 622) .

يرى البعض أن شاخت تميز عن غيره من المستشرقين كون نظرتهم للدين الإسلامي وللآداب العربية " لم تكن لاهوتية ولم تكن تشريعية ، ولكنها كانت إلى حد ما تاريخية واجتماعية " (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 1994 ، 622) .

هذا لا يعني بالضرورة أن جميع أعماله كانت على درجة كبيرة من الحيادية ، أو أنها التزمت الدقة والأمانة العلمية ، حيث تبدو بعض آرائه في الفقه الإسلامي مثلاً متحيزة وغير محايدة ، من هذه الآراء مثلاً أنه " يعد تشريع الرسول صلى الله عليه وسلم تجديداً لقوانين الجزيرة العربية ، ولم يكن لمحمد إجمالاً أسباب قوية لتغيير القانون العرفي المعمول به " (مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 624) .

رأي المستشرق شاخت هذا لا يتطابق مع الواقع إطلاقاً ، فالإسلام جاء ناسخاً لأغلب مناحي الحياة القبلية التي كانت سائدة عند العرب في جاهليتهم ، سواء منها ما تعلق بالدين أو بالعبادات أو بالمعاملات ، وما ترتب على ذلك من نسخ للتشريعات .

من آرائه أيضاً التي لم يلتزم فيها الحياد والأمانة العلمية رأيه في الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم حيث يرى أنه " قد تجاوز الخلفاء الأوائل في مجال الحدود والعقوبات التي ضبطها القرآن " (ذويب ، 6) .

مثل هذا الرأي لم يشر إليه أي كتاب من كتب السيرة الموثوقة ، كما أن سيرة الخلفاء وسابقتهم في الإسلام تنفي عنهم مثل هذه التهم .

زيغريد هونكه 1913م . 1999 /

Sigrid Hunke

لعل المستشركة الألمانية زيغريد هونكه هي أكثر من أنصف العرب و المسلمين من أبناء الحضارة الغربية في مؤلفاتها من المستشرقين المتأخرين خصوصاً .

كان والدها ناشراً معروفاً ، كما كان زوجها من من المستشرقين المعروفين ، وهو الأمر الذي جعلها قريبة من ميدان الشرقيات والذي هياً لها مناخاً ملائماً للكتابة في الموضوع ونشر هذه الكتابات .

أمر آخر لعب دوراً محورياً في توجيهها للاستشراق ، هو إقامتها بمدينة طنجة المغربية لمدة سنتين متتاليتين ، ما جعلها في تماس مباشر مع الشرق وآدابه ودياناته وتاريخه ومجموع تراثه الثقافي .

إقامتها بالمغرب أتاحت لها دراسة اللغة العربية وتعلمها ، حتى أتقنتها قراءةً وكتابةً ومحادثة ، لتنتقل بعدها في دراسة التاريخ الإسلامي عامة ، والتاريخ الأندلسي بشكل مخصوص .

دراساتها لتاريخ الأندلس جعلها تقتنع تماماً بأن المسلمين لم يدخلوا لها كغزاة مستعمرين ، بل دخلوها " لسيط سلطان الله في أرضه فكان للنصراني أن يظل نصرانياً ، ولليهودي أن يظل يهودياً كما كانوا من قبل ، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم " هونكه ، 1996 ، 40.

كان كتابها الأول بعنوان الرجل والمرأة " وهو كتاب تاريخي أكدت فيه الكاتبة كما فعلت في كتبها كلها التي تتالت ، فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والحضارة الإنسانية عامة " (هونكه ، 1963 ، 23).

يصنف كتابها شمس العرب تسطع على الغرب على أنه من أشهر الكتب المعاصرة التي انتصرت للشرق وللإسلام ، وبلغ من شهرته أن ترجم لكثير من اللغات الحية ، وأثر في عدد غير قليل من المستشرقين .

وبما أن الكتاب على هذه الدرجة من الأهمية فلا بد من الوقوف عنده قليلاً واستعراض أهم الموضوعات التي عالجها ووضحها ووقف عندها .

الكتاب مقسم إلى ستة أبواب ، تناول كل باب منها موضوعاً أسهم العرب والمسلمون فيه بمعارف جديدة لم تكن معروفة عند الأمم السابقة ، وكانت موضوعاته كالتالي :

الباب الأول : هو بعنوان رفاهية حياتنا اليومية ، وقد تناول الكلمات ذات المنشأ العربي التي مازالت رائجة بين اللغات حتى الآن ، كتسميات بعض المعدات الطبية ، والتسميات المتعلقة بالمأكل ، وغيرها .

الباب الثاني : عنوان هذا الباب العالم والأرقام ، وفي هذا الباب تتحدث المستشرقة عن فضل العرب في إختراع الأرقام واللوغرايتمات ، وكيف سهل هذا الإختراع كثيراً العمليات الحسابية ، والتي مازال العمل في ميدان علم الرياضيات يعمل بها حتى الآن .

الباب الثالث : في هذا الباب تستعرض المؤلفة جهود العلماء العرب في علم الفلك ، وكيفية حساب كثير من الحسابات على الكواكب والنجوم وبدقة متناهية ، مستعرضةً أهم العلماء العرب في هذا المجال ومنهم موسى بن شاكر وأبنائه الثلاثة .

الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

الباب الرابع : في هذا الباب تستعرض دور العلماء العرب والمسلمين في مجال علم الطب ، وهو العلم الذي نبغ فيه مجموعة من العلماء الذين ألفوا فيه كتباً استمرت تدرس في الجامعات الأوروبية زمناً طويلاً ، ككتاب القانون في الطب لابن سينا .

الباب الخامس : ويحمل عنوان سلاح المعرفة ، وفيه عقدت الباحثة مقارنة بين منهج العرب المنتصرين في معاملة أهل البلاد التي فتحوها ومنهج غيرهم .

الباب السادس : تناول هذا الباب تأثير ملوك وأمراء أوروبا خلال القرون الوسطى بالعادات والتقاليد العربية والإسلامية ومحاوله تقليدها ، وتوضح أن التأثير بالعرب وصل حد تقليدهم في طريقة اللبس والمأكل .

مميزات وخصائص الاستشراق الألماني

أولاً . تأخر الاستشراق الألماني في الظهور مقارنة مع نظرائه في أوروبا ، صادف تراجع الموجه الأساسي للاستشراق وهو التبشير بالمسيحية ، وهو ما جعله ينشأ بعيداً نسبياً عن الكنيسة وتأثيراتها ، الأمر الذي أدى إلى أن يتسم بطابع حيادية أكثر من الاستشراق في دول أوروبا الأخرى .

ثانياً . انتفاء الأطماع الاستعمارية للدولة الألمانية في الشرق تاريخياً ، وكذلك انعدام وجود أي احتكاك عسكري بين الثقافتين ، ساهم إلى حد ما في حيادية المستشرقين الألمان .

ثالثاً . طبع الاستشراق الألماني بطابع الشخصية الألمانية الجديدة ، فجاء أكثر عمقاً وموضوعية حيال المواضيع المطروحة من غيره من المدارس الاستشراقية .

رابعاً . كانت الجامعات ومعاهد الدراسات الشرقية والمكتبات في أوروبا هي الميدان الرئيسي للدرس الاستشراقي الألماني ، كم أكد إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق ، فعدد كبير من مشاهير الاستشراق الألماني لم يغادروا أوروبا إلى الشرق ، بل اكتفوا بتقييمه والكتابة عنه من خلال ما كتبه مستشرقوا أوروبا الآخرون .

خامساً . إن المدرسة الألمانية في الاستشراق اهتمت بمختلف كتب التراث ، دينية كانت أو أدبية ، فلم تكن انتقائية في خياراتها .

سادساً . يتقاطع الاستشراق الألماني مع غيره من مدارس الاستشراق الأوروبية الأخرى في كون كليهما يعكسان نظرة الآخر الأوروبي إلى ثقافات وحضارات الشرق ، وهذه النظرة لا يجب أن نتوقع أنها ستكون دائماً متوافقة مع رؤانا وواقعا .

سابعاً . عدد المستشرقين الألمان ، أو المستشرقين الذين كتبوا أعمالهم باللغة الألمانية كبير ، وعدد المخطوطات والكتب التي تم تحقيقها كبير جداً .

خاتمة

تناولت في هذه الورقة أبرز وجوه الاستشراق الألماني ، وراعيته في ذلك التسلسل الزمني لظهور كل مستشرق ، بحيث يكون كل واحد منهم يمثل فترة زمنية مختلفة ، حتى يعكس أجواء العصر الذي يعيش فيه .

قد لا يتفق الجميع على اختيار أسماء المستشرقين الذين تم تناولهم في هذه الورقة ، وهذا أمر طبيعي جداً ، فعدد المستشرقين الألمان البارزين والذين خلفوا تراثاً في ميدان الشريقات من الكثرة بمكان ، بحيث يصعب حصرهم في ورقة بحثية أو حتى في كتاب .

عند ذكر الاستشراق الأوربي عادة ما يتم التركيز على المستشرقين الذين نقلوا الصورة السلبية للعرب والمسلمين ، والذين شوهوا التاريخ العربي والإسلامي ، وشوهوا رموز هذا التاريخ ، وهؤلاء المستشرقين كثر للأسف ، ويتم التغاضي عن ذكر المستشرقين الذين نقلوا الصورة الصحيحة ، وهذا الأمر أدى إلى زيادة شهرة المسيئين في مقابل خفوت وتلاشي صورة الآخرين .

أيضاً عند البحث في المدارس الاستشراقية الأوربية عادة ما تجد مدارس معينة تفرض نفسها على الباحث ، وذلك لشهرتها وشهرة روادها مع أن هذه الشهرة قد تكون خادعة ، فالمدرسة الإنجليزية أو الفرنسية مثلاً وهما من أقدم مدارس الاستشراق ، عادة ما تستأثر بنصيب الأسد من البحث والتنقيب ، مع أن المدرسة الألمانية لا تقل شأنًا عنهما ، سواء من حيث عدد الرواد والمستشرقين أو من حيث كمية التراث الذي تم تحقيقه .

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب العربية .

- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار المعارف . القاهرة . ط1 . تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون .
- أبو خليل ، شوقي ، كارل بروكلمان في الميزان ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، 1987م .
- المسلاقي ، مصطفى نصر ، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، دار إقرأ ، طرابلس ليبيا ، 1990م .
- بدوي ، عبدالرحمن ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1993م ، ط3 .
- ذويب ، حمادي ، من مواقف المستشرق شاخت في الفقه والأصول والتلقي النقدي لها ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود . تونس .

ثانياً : الرسائل العلمية والمجلات والدوريات .

- الشربوبي ، عمر بن مساعد ، آراء المستشرقين حول العقوبات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية ، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة طيبة ، السعودية 2004م .

الاستشراق الألماني النشأة . أهم الأعلام . الخصائص

- مجلة كلية الدعوة الإسلامية . العدد الرابع . 1987 م .
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية . العدد السابع . 1990 م .
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية . العدد الحادي عشر . 1994 م .

ثالثاً : الكتب المترجمة .

- سعيد ، إدوارد ، الاستشراق (المعرفة ، السلطة ، الإنشاء) ، ترجمة كمال أبوديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1980 م .
- فوك ، يوهان ، تاريخ حركة الاستشراق ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان .
- هونكه ، زيغريد ، الله ليس كذلك ، ترجمة غريب محمد غريب . دار الشروق مؤسسة بافاريا .
- هونكه ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . لبنان .